الحسد (٦)

المعنى .. الأسباب .. المعالجة ..

محاضرة لفضيلة الشيخ سليمان المدني
إعداد: عبدالرضا هارون

إن الايمان والكفر درجات ومراتب متفاوتة بين الايمان المحض وإيمان الفسق والكفر، فقد روى المحدث ثقة الاسلام الكليني في الكافي عن الصادق (ع) قال: للايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه، ولما كان الكفر مقابل الايمان فهو مراتب فمنه كفر الجهالة وكفر التهود وكفر الضلالة وكفر الصيان وكفر النفاق وعلى ذلك شاهد من اية ورواية، وبما ان الحسد من معاصي القلب التي هي غشاوة حاجبة عن مناجاة المحبوب سبحانه وتعالى له مرتبات ودرجات تتفاوت في القبح والذم.. وذلك موضع حديث فضيلة الشيخ سليمان المدني في هذه الحلقة.

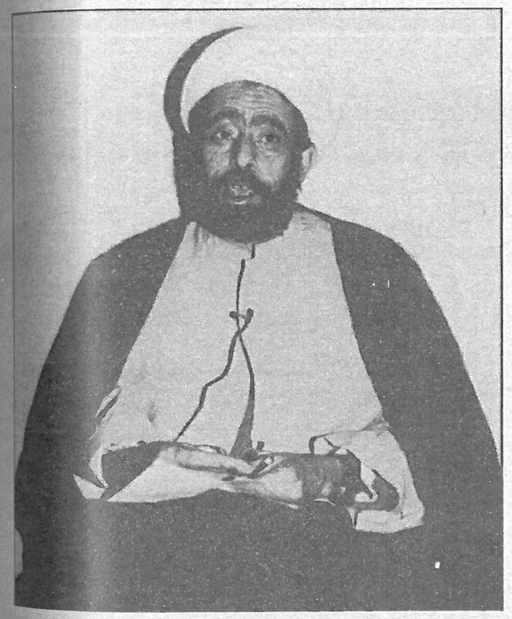

○ فضيلة الشيخ سليمان المدني ○

الحسد ليس كله درجة واحدة ويمكن تقسيمه كذلك الى أربع مراتب تتفاوت في القبح والذنب:

*** المرتبة الأولى:**

هو ما لاينفك عنه الانسان ولكن ربما يمنعه عقله أو دينه من العمل بمقتضى الحسد مثل أن يتمنى مثلما لزيد من النعمة أو يتمنى مواساة زيد وهذا كما قلنا اذا كان يتمنى مساواته ويعجز عن المساواة بالجهد وهو يتمنى بنقص درجة زيد أو نقص نعمة زيد يعني يتمنى زوال نعمة زيد بالقدر الذي ينزل الى مستواه حتى لايزيد عليه ولكن يعلم من نفسه ان هذا حرام وهو لا يرضى عن نفسه بهذه الأمنية وهو دائما يستعيذ بالله من شر هذه النفس ويسعى دائما في عقل زمام هذه النفس من أن تفلت فهذا حسد وهو مذموم ولكن يعفى عنه لمكان ذكر الله سبحانه وتعالى وكف نفسه عن العمل بمقتضى الحسد وهذا هو أقل مراتب الحسد.

*** المرتبة الثانية:**

أن يتمنى زوال نعمة الغير لأنه طامع في هذه النعمة بالذات ولا يريد أن يساوي زيدا في كل شيء

ولكنه يحسده على هذا المنزل الفخم أو يحسده على هذه الزوجة المعينة، وطبعا لا يتمكن من الوصول الى النعمة المعينة مادامت مقترنة بزيد ومادام المنزل ملك زيد لايمكن أن يكون منزله ومادامت الزوجة هي زوجة زيد لايمكن أن تكون زوجته فيتمنى زوال النعمة لرغبته فيها

والحصول عليها أي يريدها أن تكون له طبعا، هذه درجة ثانية من درجات الحسد وأرفع من الدرجة الأولى في الذنب والقبح لأن تلك الدرجة وان كانت مذمومة

■ للحسد مراتب ودرجات تتفاوت في القبح والذم

● قال الرسول ﷺ «المؤمن يغبط ولا يحسد»

○ جانب من الحضور ○

ونتيجة لكن وجود العاقل الداخلي وهو العقل أو العاقل الخارجي وهو الدين يمنعه من السعي في ازالة النعمة، هذه الدرجة من الحسد يصل فيها الانسان الى درجة لايردعه عقله أو دينه من السعي في سائر المكائد في اخراج النعمة من تحت يد زيد حتى تصل اليه.

*** المرتبة الثالثة:**

وهي حسد الشخص لا لرغبة في نعمة معينة كبيت معين أو زوجة معينة أو سيارة معينة أو منصب معين ولكنه يحسد الشخص لأنه يريد أن يكون مثله ولا يرضى أن يكون أقل منه، وطبعا كما ذكرنا في الكلام عن الغبطة والتنافس انه في حالة عجزه عن الوصول الى هذه المرتبة بجهده فعندئذ يعمل على زوال النعمة منه الى أن يصل الى مستواه أو الى أقل منه أو الى مستواه حتى تقر عينه على الأقل بذلك.

*** المرتبة الرابعة:**

وهي أشد مراتب الحسد قبحا وأعظمها ذما وهي أن يتمنى زوال نعمة الغير وان كانت لاتصل اليه وتصل الى غيره، المهم هو انه لايتمكن من أن يرى زيدا بهذه النعمة، وليس المهم أن يكون مثله وليس المهم أن يصل الى مستواه بل المهم أن زيدا تزول عنه النعمة، فهو يبغض ذات زيد ويحقد عليها ولا يحب لها أي خير بغض النظر أن تؤول هذه النعم التي عند زيد له أو لغيره، وهذا أشد مراتب الحسد ومراحله ذما وأكثرها قبحا.

اذا نجد مما تقدم ان مراحل الغبطة والتنافس تتداخل وعندئذ فموضع الغبطة اذا لم يكن في الدرجات الأخروية خاليا من حب التساوي أو كراهة النقص ففضله عظيم، فكثيرا ما تبرر النفس لصاحبها بانه ليس حسودا وانما هو غابط لزيد وانه انما يريد أن يكون مثل زيد لا انه يريد زوال نعمة زيد ولا يرضى أن يكون أنقص منه بل لابد على الأقل أن يكون مثله وهذا هو الحسد بعينه

وتتداخل هذه الحالة مع الغبطة أو التنافس مع الحسد فيكون آخر مراحل الغبطة هو أول مراحل الحسد، ومن أجل ذلك جاء النهي القرآني عن مجرد التمني وعن مجرد مد العين الى ما عند الغير من النعمة وأن تمني ذلك هو بداية الطريق الى الحسد قال الله سبحانه وتعالى ﴿قالوا ياليت لنا مثلما أوتي قارون﴾ ليس من الضروري أن يكون كل واحد منهم يتمنى من المال بالضبط بكثرة ما أوتي قارون أو مثل ما أوتي قارون من المال الكثير بحيث يستطيع هو أيضا أن يرجع الى قومه ويبطر على قومه لأن البطر متفاوت في الدرجات والبغض متفاوت في الدرجات وهو في البداية لا يتمنى أن يصل الى أعلى مستويات البطر لكن اذا وصل لايبالي أن يتمنى الثانية والثالثة والرابعة وهكذا لا يتخلف عند شيء.. ان الغبطة التي حث الله سبحانه وتعالى عليها انما هي في طلب مراتب الجنة فان قوله سبحانه وتعالى: ﴿وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ بعد ذكر ما للمتقين في الجنة من العيون والزروع والحدائق والحور العين والقصور وغير ذلك مما وعد الله به أهل الايمان في الجنة والتنافس في هذا الحد لايمكن أن يتحقق الا بصفتين متضادتين للحسد مائة في المائة الأولى هي التسليم بقضاء الله سبحانه وتعالى والثانية الاخلاص في العبادة لله سبحانه وتعالى. طبعا من سلم بقضاء الله لا يحسد ومن رضي بقضاء الله لا يحسد ومن أخلص عبوديته لله سبحانه وتعالى لا يحسد. يقول النبي ﷺ «المؤمن يغبط ولا يحسد» يغبط في درجات الجنة يريد أن تكون له في الجنة أرفع الدرجات فهو يدأب ليلا ونهارا في عبادة الله والتقرب اليه بالأعمال الصالحة، ومن أجل تلك الدرجات لايحسد ويتمنى أن يكون في الجنة أكثر من زيد ولا يخطر بباله زيدا أو عمرا وانما يخطر في باله نفسه وكيف يصل الى هذه الدرجة وعندئذ هذه هي الغبطة المأمور بها وليس في الأمور الدنيوية أو التمني أن يكون مثل زيد ولا يرضى بالنقص عند درجة زيد فان هذا فيه عدم تسليم لقضاء الله سبحانه وتعالى وفيه اعتراض على ارادة الله سبحانه وتعالى.

(يتبع في العدد القادم)

■ أشد مراتب الحسد قبحا تمني زوال نعمة الغير وإن لم تصل إلى الحاسد